الأدب الملزوم

للتواصل عبر منصة زووم

بسم الله، الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإن من خصائص الشريعة الإسلامية الغراء، أنها شريعة قائمة أنظمتُها وقوانينها على مكارم الأخلاق ومحاسن الفعال، التي بها تقع الألفة بين الناس وتستمر الحياة وتُحسم بها مادة النزاع والشقاق فيما بينهم، فلذلك لا تجد حالا مرتبطة بحركة الإنسان إلا ولله فيه شريعة وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه سنة، (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ...

ولما كان الأمر كذلك، فإن ما انفتح عليه الناس اليومَ من تكنولوجيا معاصرة سهلت معيشتهم وقربت تواصلهم وطورت معارفهم، ينبغي أن يدرِك فيها المسلم شريعةَ الإسلام وحدوده وقوانينه؛ وقد كتب العلماء والباحثون في هذا كثيرا ولله الحمد.

وأنا أخص بهذه المقالة، بعض الآداب التي ينبغي للمؤمن والمؤمنة أن يراعياها أثناء تواصلهما في المجالس العلمية واللقاءات المعرفية بمنصة zoom الشهيرة، أو ما يشبهها من المنصات الإلكترونية التواصلية.

والباعث على كتابة هذه المقالة أمران:

الأول: الإقبال المتزايد من طرف المسلمين والمسلمات على التواصل -صوتا وصورة- على متن هذه المنصة، لطلب الفائدة العلمية والمعرفية، خصوصا بعد أزمة وباء كورونا التي ألزمت الناس بيوتهم مدة من الزمن، فلم يجدوا ما يستعيضون به عن المجالس العلمية واللقاءات الثقافية إلا هذه الوسيلة المتاحة السهلة في الاستعمال، المحقِّقة للمراد والآمال.

الثاني: الغفلة الشديدة للآداب الإسلامية بل وللأخلاق الإنسانية والقيمِ الحضارية عند التواصل بواسطتها، بسبب عدم الاكتراث أو بسبب

تهوين شأن هذه الآداب أو بسبب خلو المقصود بالتوجيه والنصح فيها منها في حقيقته.

وهذا مختصَر تلك الآداب والضوابط الشرعية والعُرفية التي أراها لازمة في استحضارها والعمل بموجبها أثناء تواصل المسلمين والمسلمين عبر هذه المنصة:

1. **حفظ الجنان**: وذلك بالنية الصالحة التي هي أصل العمل الصالح، ولو كان لهوا ولعبا، فضلا عن الجد في القول والعمل، ومنه التواصل الثقافي والمعرفي في علوم الدين أو علوم الدنيا، فيجب على المسلم استحضارُ وتجديدُ النية الصالحة لله تعالى، كي يكون عمله مقبولا وفعله راقيا، وتشهد عليه ملائكته بالخير وتحَفظ له ما يكون سبب سعادته يوم لقاء ربه.

2. **حفظ الزمان**: بالمحافظة على المواعيد، فإنه لا يُعقد مجلس -حقيقة أو حكما- إلا بتوقيت يؤقته منظموه، ابتدءا وانتهاءا، وقد جرت العادة للأسف وتطبَّع كثير من الناس، حتى المثقفون، بل حتى أهل الخير من الدين والعلم والدعوة، أن يستهينوا بشأن الوقت فيُصِرُّوا على خلف المواعيد والتأخر في الحضور، وأقبح من ذلك صنيعا من يتعمد فعلَه لغرض أو بسبب مرضي (نفسي أو أخلاقي)، ومن عرف الإسلام عرف قيمة الوقت والزمن، ومن ضيع المواعيد وأخلفها وتهاون فيها فهو جهول بالإسلام وبتعاليمه، وإن كان من كبار العلماء أو مشاهير الباحثين، لأن الأمة التي تحترم الوقت ولا تتهاون فيه أمة متحضرة ولو دانت بغير الإسلام، والأمة التي تتهاون في الوقت وتضيِّعُه لغير عذر متخلفة ولو كان دينها الإسلام.

3. **حفظ اللسان**: وقد قال العرب قديما: الإنسان مخبوءٌ تحت لسانه، فإذا تكلم عُرِف، وعليه؛ فإننا نلاحظ أن كثيرا من الناس لا يتحفظون فيما يقولونه أمام العامة من الناس عند افتتاح المجالس والاجتماعات، وأسجل هنا ملاحظات مختلفة مما يقع منهم غفلة، ووجب اجتنابه:

- اللغو: وهو ما لا فائدة منه في المجامع والمجالس التي يكون القصد منها التواصلَ العلمي والمعرفي، وأقصد به ما يغفل عنه البعض

من المذاكرة في مجلس عام بين صديقين بكلامٍ إن صح لهما في خصوصيتهما فلا يصح في مَجمع الناس.

- المبالغة في المزاح والبسط: هذا أيضا ملاحَظ في كثير من الاجتماعات التي أصلها الجد، فتنقلب إلى هزل ولهو ومبالغة في المباسطة والتفكه، وهذا أيضا إن صلح بين المعارف فلا يصلح لعموم المجالس.
- القهقهة: وهو فرع عن سابقه، ومثل هذا يَذهب برونق المجلس وصفائه وقدسيته -خصوصا إن كان مجلسَ علم شرعي وقرآني وسني-، فلا معنى لإسماع القهقهات في مثله وبدون موجب أو لموجب خاص مع الخاص، ويزداد قبحا وشناعة إن وقع من النساء في محضر الأجانب عنها، فلا يصح ذلك لا شرعا، ولا طبعا، ولا عُرفا.
- التشدق: وهو التكلف في الكلام لمن أخذ فرصته بين الناس والتصنعُ فيه لإظهار الفصاحة والعلم والمعرفة، وهذا منهي عنه على لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل: "إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون، قالوا: يا رسول الله: قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: المتكبرون"، فلا أجملَ ولا أبهى من السهولة في الخطاب والسلاسة في الإلقاء، والناسُ عادة يميِّزون بين المتصنع وغير المتصنع، فيُقبلون بقلوبهم على الذي سلم قلبه من التكلف في النطق والحديث، ويعرضون عن الغير، والغرض النفع والانتفاع، وليس الثناءُ ولا ذكرٌ يذاع.

4. **حفظ الأركان**: وأقصد به الأدب الذي يلزم الحاضر في ذاته وهيئة جلوسه وطريقة عرضه وحضوره، وها هنا تجاوزات، لو أن المسلم تجاوزها لكان خيرا له دينا ودنيا، وأُجمِلها فيما يلي:

- استعمال الكاميرا: أظن -والله أعلم- أن للظهور أمام الناس في مجلس عام بالكاميرا عبر الأنترنيت يلزمه من الأدب ما يلزم الحضور الفعلي، فلا يظهر إلا في حالة سليمة وحُلَّةٍ أنيقة، وليتجنب الآتي:

1. الظهور مستلقيا على القفا أو مضطجعا على الجنب -إلا لمعلول أو معذور-، خصوصا في مجلس قرآني أو مجلس

محمدي نوراني، فإن حُكم الحكم كحكم الحقيقة، وخصوصا إن كان متكلما في الناس، فمن اللياقة أن يستوي في جلسته تقديرا للعلم واحتراما للحضور، وقد يكون فيهم علماء وشرفاء وأولياء.

2. الظهور على مائدة طعام، والمشارِك في المجلس يتناول منه ويمضغ لذيذَه أو يحتسي شرابا، وربما أسمع صوت المضغ والشرب، في مجلس اللائق به الوقار، وقد قال عمر رضي الله عنه: "تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار".

3. ظهور النساء المسلمات من غير ضوابط الشريعة في ستر عورة الجسد المأمور به قرآنا وسنة، فقد قال تعالى (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

4. تجنبُ الظهور إلا بعد صلوحية الظاهر له، فإن بعض الناس -ممن لا يعرف تقنيات استعمال هذه المنصة- بمجرد ما يتواصل بالمجلس لا يدرك أن كلامه مسموع وصورته مرئية وعورة بيته وأهل بيته بادية للعالَمين، ولا يتفطن أن كل شيء من خصوصياته يسمعه الخاص والعام، بل سمعت مرة في مناسبة سيدةً تطعن -من غير شعور وهي تخاطب زوجَها- في عالم لم يعجبها تحليله وكلامه، وأفرغت أمام الناس كل شيء في قلبها جهتَه وهي غير مدركة أنها مسموعة، ومثل هذا يستر ولا يذاع؛ فينبغي لمستعمل هذه التقنيات أن يتعلم أسرارها وطرقها حتى لا يقع في الحرج ولا يوقع غيره في الإحراج.

خاتمة: هذه إلماعة مختصرة لما استحضرته الآن من وجوب لزوم الأدب في هذه المجالس، لأن الإسلام كله أدب وأخلاق، ولا دين لمن لا خلق الله، فإن كان فيه من الصواب فهو فضل الله ومنته، وإن كان غلطا وخطأً فهو

مني ومن سوء تقديري، فأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم:

أبي عمر عدنان بن عبد الله زُهار الجديدي المغربي

كتبه صبيحة يوم الأربعاء 15 جمادى 1442، مَتمَّ سنة 2020.